الاثنين 11/3/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة التفسير

سورة الكهف (3)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

هذا هو الدرس الثالث في تفسير سورة الكهف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا * إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾. [الكهف: 6-8]

كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منشغلاً بدعوة قومه إلى الله تعالى، فمهمة الأنبياء جذبُ قلوب العباد إلى رب العباد، وإخراجُ الخلق من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

أشرف عمل في هذه الأرض أن تُخرج إنساناً من الظلمات إلى النور، وتأخذ بيد إنسان كان في غياهب الضلال والضياع لتدله على الطريق المستقيم.

الدعوة إلى الله تعالى واجبة على جميع المسلمين، وقد بحثت في القرآن الكريم وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن كلمة الشيخ في المعنى الذي اصطلحنا عليه (أنه إمام المسجد وخطيبه والمدرس فيه) فلم أجد ذلك، إلا أنه جاء في القرآن الكريم وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى الرجل الطاعن في السن، حيث قالت ابنة شعيب: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾. [القصص: 23] أي طاعن في السن.

أما المشايخ في القرآن الكريم وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم فهم كل المسلمين بلا استثناء.

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ .

[التوبة: 71].

المؤمنون والمؤمنات: اسم جمع محلى بـ (ال) يفيد العموم.

ليس في الإسلام رجال دين مختصون بالعمل في الدعوة بل كل المسلمين من مهامهم الدعوة.

لعلك تتكلم مع صديق أو قريب أو شريك أو مدير أو أجير فتؤثّر فيه، ولو أتينا بمئة شيخ ليكلم هذا الرجل فلن يستجيب لهم.

أحياناً يكون لك عمل بالتجارة أو بإدارة أعمال أو بالموارد البشرية فتستطيع به أن تخدم الدين خدمة لو أتينا بألف شيخ ليخدموا الدين هذه الخدمة فلن يستطيعوا.

كل المؤمنين دعاة وكل المؤمنات داعيات، كلٌّ بحسب طاقته وقدرته.

هذا الكلام لا يعني أن لا نختص في المواد الشرعية فنحن بحاجة لأناس يتخصصون في هذا الدين سواء بعلم العقيدة الذي يقوم بالمنافحة عن الدين ضد الذين يريدون أن يسيئوا إليه، ونحتاج إلى أناس مختصين بحديث النبي صلى الله عليه وسلم لنرجع إليهم إذا أشكل علينا شيء في الحديث، وأناس متخصصون بالتفسير، وفقهاء مختصون بالفقه...

لكن بشكل عام كلنا علينا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ولهذا تطرح مسألة في الكتب الشرعية وهي **هل الدعوة إلى الله تعالى فرض عين أم فرض كفاية؟**

فرض العين: هو ما وجب على كلٍّ منا القيامُ به ويأثم تاركه، كالصلوات الخمس.

فرض الكفاية: هو الذي إن فعله البعض سقط الإثم عن الباقين، كصلاة الجنازة.

قال العلماء: (**الدعوة إلى الله تعالى فرض عين على كل مسلم ومسلمة، أما التخصصات الدقيقة فهي فرض كفاية عليهم**).

كان شغل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الشاغل أن يجذب قلوب العباد إلى درب الله عز وجل، وأن يعلِّم الناس دين الله.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: **لَمَّا نَزَلَتْ** ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، **صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي** ((يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ..)) **لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى**

اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: ((أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟))، قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا قَالَ: ((فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ))، فَقَالَ: أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا فَنَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾. [البخاري]

فمن اهتدى من الناس فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم به فرحاً شديداً، ومن لم يهتدي حزن عليه حزناً شديداً حتى قال الله له في سورة الكهف: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ بمعنى: يا محمد كدت أن تهلك نفسك أسفاً على هؤلاء الذين لم يؤمنوا.

وهكذا الداعي إلى الله عز وجل طبيبٌ يَرِقُّ ويحن على المرضى، وكلما ازداد مرض المريض كان الداعي بحاجة إلى أن يشفق عليه أكثر، وأن يرحمه أكثر.

يطلب من كل أخ وأخت بيننا في كل عام على أقل تقدير أن يأخذ بيد عشرة ممن حوله ليبعدهم عن طريق فيه خطأ، ويجلبهم إلى طريق فيه صواب.

علينا أن لا نعجل لاستجابة الناس لنا، فلكي نقوم بمشروع صغير علينا أن نعمل لسنوات حتى ينطلق ذاك المشروع، فالدعوة إلى الله لا تكون بضغطة زر أو كلمة تلقى وحسب بل بحاجة إلى تعب وسنوات طويلة.

الدعوة إلى الله كَمَثَل البيع والشراء، فربما يأتي زبون فيتعبك ثم لا يشتري، وربما يأتي زبون يطلب ويشتري فوراً، وهذا الأمر يحصل مع الكل حتى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: ((لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ...))**، [البخاري].

فلم يؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم أحد من أهل البلد، ولكن بنفس الوقت **لما رآه عتبة وشيبة ابنا ربيعة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس، فقالا**

له: خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه، ففعل عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له كُلْ فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده قال: ((باسم الله))، ثم أكل فنظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس وما دينك؟)) قال: نصراني وأنا رجل من أهل نينوى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟)) فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي)) فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه. [سيرة ابن هشام]

فالنبي صلى الله عليه وسلم مع كل هذا الإيذاء والتعب عندما رأى عبداً يمكن أن يسلم لم يمنعه ما حصل معه أن يدعو عداس للإسلام فإذا به يسلم.

من أراد الدعوة إلى الله فعليه بـ:

1- ذكر الله تعالى:

كان هناك مهندس في الكهرباء له سمعة عالية حتى أنه يطلب إلى دول أخرى ليستشار في بعض القطع، زرته مرة وقد كان يبني مخبراً، فأدخلني إلى المخبر وأخذ يعرفني إلى الغرف وما سيقام بها حتى وصلنا إلى غرفة صغيرة فسألته عنها؟ فقال: هذه الغرفة من أجل ذكر الله.

لقد كان لدى هذا المهندس عقدةٌ في لسانه إلا أنَّ له سراً عجيباً فلا يمضي أسبوع إلا ويأتي بأناس جدد لمجالس العلم، وكلهم على مستوى عالٍ من الفهم والعلم والمكانة الاجتماعية، فكنت أعجب منه كيف يأتي بهم، فلما زرته في مخبره علمت سره وهو خلوته بذكر الله تعالى.

فمن أراد الدعوة فعليه بكثرة ذكر الله تعالى فإن الله يجعل لك به نوراً يخرج من فمك ليدخل في قلب من يستمع إليك، فإذا دخل النور إلى القلب انشرح الصدر له فيقبل كل ما تقول.

كان هناك أخوة يعملون في الدعوة إلى الله لديهم طريقة قوية ومؤثرة جداً في الدعوة، فإذا قابلوا أحدهم وأرادوا دعوته للالتزام اتفقوا مع بعضهم بالدعاء له باسمه لمدة معينة في تهجد كل يوم وعندما تنتهي الأيام المحددة يذهبوا لزيارته أو يذهب أحدهم فيتكلم معه، فإذا به يستجيب وينصرف معهم، مع العلم أن مادتهم العلمية قليلة وبسيطة.

2- إذا كنت لا تتقن الكلام فتعلم الكلام:

تقام في هذا الوقت دورات لتعلم كيفية الكلام والتأثير بالناس لأجل الشراء في موضوع التسويق.

أحضرت مرة الكتب التي تدرس في دورات المبيعات لأدرسها حيث أن الدعوة هي سلعة علينا أن نعرضها على الناس فلعلي أستفيد من شيء منها في الدعوة إلى الله.

كان هناك رجل معه ورقة وقلم يكتب بها طوال الدرس، فحضر مرة إلي فسألته ما تكتب في الدرس؟ فقال لي: في كل درس أُحضر معي ورقة وأكتب ما تقوله، وعندما أخرج من الدرس أذهب إلى أحد أقاربي ثم أخرج الورقة وأقرأ عليهم ما كتبته، وهكذا طوال الأسبوع، كل يوم أقرأها على شخص فإذا انتهى الأسبوع جعلتها في مصنف وأخذت ورقة أخرى لأكتب عليها.

3- الدعوة إلى الله عن طريق العمل:

اشترى تاجرُ عقاراتٍ مسلمٌ بيتَ رجلٍ مسيحي وفي جلسة العقد كاد أن يفوت وقت الصلاة على المسلم، فاستأذن بالصلاة من النصراني فأذن له، وفي أثناء الصلاة قال قريب النصراني له: ألم ننتهي من هذا التخلف بعد؟

وبعد أن تم البيع بثلاثة أشهر وقد ارتفع سعر البيت بمقدار مليون ليرة سورية، علم المسلم أن النصراني لم يوفق بشراء البيت البديل وأن زوجته تلومه على فعلته فأتى المسلم إليه وقال له: لقد بلغني أنك منذ اشتريت بيتك وأنت لم تجد بيتاً لتشتريه، وأنك نادم على بيعك فإن كنت ما زلت متعلقاً ببيتك القديم فأعطني مالي الذي دفعته لك من غير زيادة وخذ بيتك بالسعر القديم!!.

فقال له النصراني: ولماذا تقوم بذلك؟! فقال له: لأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول: ((**مَنْ أَقَالَ نَادِمًا بَيْعَتَهُ، أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)). [ابن حبان عن أبي هريرة]

ولأجل التقدير الإلهي كان قريب النصراني الذي همس بأذنه عن التخلف للمصلين يجلس عنده في أثناء هذا الكلام فالتفت النصراني إلى قريبه وقال له: إذا كان هكذا التخلف فليتنا كلنا متخلفين.

يقال في التعليم: ما يتعلمه الطالب بعينيه أكثر بكثير مما يتعلمه بأذنيه؛ ولذلك كانت كل طرق التعليم الحديثة هي التعليم بالصورة، والأقوى من الصورة هو التعليم بالعمل.

وأحياناً ترى أناساً يهربون من الدين بسبب تصرف رجل غير مبال فيكون قد صد عن دين الله بعمله وليس بكلامه.

عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي**

تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا)). [البخاري ومسلم]

حُجَزِكُمْ: مكان ما يوضع الزنار.

قال العلماء: (**إن الشفقة على خلق الله والرحمة عليهم من لوازم محبة الله**(.

فعندما تحب الله تصبح مشفقاً على خلقه، وعندما تتصل بالله يصبح قلبك يرق من أجل العصاة من العباد.

فمطلوب منا عملياً أن ينظر كل منا إلى من حوله من الناس الذين يمكن أن يؤثر فيهم فيبدأ، بهم وإذا كنت ضعيفاً فاتفق مع رجل آخر لتتفقا على دعوته لمجلس العلم، أو على طاعة وبر والديه وعلى الانضباط بالشرع.

ولعلك ببركة واحد ترده إلى الله يرفعك الله عنده مقاماً علياً.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.